مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (02)، (ديسمبر-2022)، ص 231-248
ISSN:2602-5566 EISSN:2716-8999

السؤال الأركيولوجي ووهم الحياد المعرفي
"من حدود السلطة وإنتاج الحقيقة الى رهانات التَّفَكُرِ في الذات" عند "ميشيل فوكو"

The archaeological question and the illusion of cognitive neutrality "from the limits of power and the production of truth to the stakes of self-reflection" in Michel Foucault's thought

مشقق إبتسام[1]*، شروف محمد [2]

[1] مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة1 (الجزائر)، E-mail، ibtissem.mechegueg@univ-batna.dz

[2] مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة1 (الجزائر)، E-mail، Medych23@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/02/08 **تاريخ القبول:2022/10/03**

ملخص:

إنَّ إمكانية التفكير في نصوص "ميشيل فوكو" علامة فارقة لا بعناوينها ومفاهيمها فقط، بل بسياقاتها وقدرتها المخصوصة على توليد معضلات معرفيّة جديدة كانت متموضعة على الهامش: كالجنون والسّلطة والحقيقة والجنس...إلخ. هذه الخصوصية أعادت رسم جغرافيّة الفكر الغربي برمته انطلاقا من تجاوز الأعراف باختراق التُخوم المألوفة واستنطاق هامش الخطابات ليتحدث بذلك خارج أفُق كل معقوليّة تفكيكاً للواقع، تقويضاً للهوية، تجاوزاً للتاريخ بالمعنى التقليدي للحفر في خفايا الأرشيف المكون للبنى المعرفة التاريخية والاجتماعية والثقافية. انه نوع جديد من التفكير، على نحو مختلف؛ يُعني بتفكر بالذات وعلاقتها المعقدة بالمعرفة والسلطة والأخلاق، وما تطرحه بدورها من صلات إشكالية بأنطولوجيا الحاضر.

ان التحليل الأركيولوجي ما هو الا راهنية تفجيرية تشتغل وفْقاً لآليات حفرية وحتى تأويلية لتؤسس فهم جديد ورؤية مغايرة للخطاب وللأنساق الإبستمية على وجه العموم والمسكوت عنه تاريخيا على الوجه المخصوص، لتغدو حدث تاريخي تحدثه تقنيات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة، السلطة، الاركيولوجيا، الذات، ميشيل فوكو

Abstract:

The possibility of thinking about Michel Foucault's texts is a milestone not only with its titles and understandings, but with its contexts and its particular ability to generate new cognitive dilemmas that have been positioned on the sidelines: like madness, power, truth, sex, etc. This peculiarity redrawn the geography of Western thought as a whole from transcending norms by penetrating the familiar frontier and interrogating the margin of discourses to speak outside the horizon of every reasonable dismantling of reality.

Archaeological analysis is an explosive betterment that operates according to fossil and even interpretive mechanisms to establish a new understanding and a different vision of discourse and epistemological systems in general and historically silenced in particular, becoming a historical event of various techniques.

Keywords: Truth, power, the subject, archeology, Michle Foucault

* المؤلف المرسل.

السؤال الأركيولوجي ووهم الحياد المعرفي"من حدود السلطة وإنتاج الحقيقة الى رهانات التَّفَكُرِ في الذات" عند "ميشيل فوكو"

1- مقدمة

لقد احدث ميشيل فوكو خلال مساره الفكري منعرجا فلسفيا هاما في فهم سؤال السلطة ؛ إذْ لا تكاد غالبيّة أعماله من "المرض العقلي والشخصيّة " حتى "الانشغال بالذات" تُبارح سؤال السّلطة وعلاقتها بالحقيقة و الذّات في صياغات وسياقات مختلفة، غير أنَّ تناول الفيلسوف لهذا الإشكال لا يمثل امتداد لأبرز التوجهات والمسارات النظريّة الّتي بنتها الفلسفة والعلوم الغربيّة حولها؛ فهو لا يتناولها بوصفها معياراً أو ملكيّة، بل باعتبارها استراتيجيّة تتماهى أنطولوجيّاً مع الحقيقة، بهذا يبتعد مسافة شاسعة عن الفهم التقليدي العلمي العقلاني؛ الّذي يؤسس للمركب السلطوي المعرفي من منظوري كونيّ مطلق يطابق بين الوصف والواقع، أمّا التوصيف الفوكوي فيؤسس للحقيقة كمفهوم تاريخي وسياسي، وللسّلطة كإستراتيجيّة مبثوثة في النسيج الاجتماعي حيث يخضعان للمصلحة قبل كلّ شيّء.

بقراءة كهذه ينتقد" فوكو" هذه المقولات التي كانت متجذرة في التراث الفلسفي الغربي، بل عمل على خلخلة وزعزعة هذه المفاهيم، حيث نقلها من حيّز الفهم إلى حيّز السؤال والنقد. ونجد جذورها وأصولها في المنجز النيتشوي الذي عمل على نقل السؤال من (الماهيّة إلى القيمة)؛ في مساءلتة الإرتيابيّة للحقيقة والمعرفة ليخط بذلك طريقه الفكري، متجاوزاً الفكر الفلسفيّ الكلاسيكيّ والحداثي، ليفتتح أفق ما بعد الحداثة فأخرج هذه المفاهيم من فضاءات الفكر الأفلاطوني الذي يجعل من الماهيّة مُلسَمة غير قابلة للنقد، والنبش في تاريخية المفهوم.

من خلال هذا المنعطف قام فوكو بأكبر محاولة لنقد العقل الغربي وتعرية مُلابساته وإعادة قراءته قراءة أركيولوجية بأبعاد جينيالوجية اِنطلاقا من المعرفة.. فالمعرفة عندهُ حصيلة عمليّة من التنويع والتشكيل المحكومة ببعض القواعد التي تعمل بطريقة قبليّة ولكن في حدود تاريخيّة بحتة ومنه يؤكد فوكو على ذلك التواشج.

فالبحث الأركيولوجينيالوجي ما يفتأ أن ينتقل لتحديد حقيقة الثقافة من الداخل إلى الخارج، بهدف إظهار الشروط التاريخيّة التي تمثل أشكال الاقصاء والهيمنة التي تلجأ اليهما ثقافة ما؛ إما بهدف إبراز اختلافها عن الآخر، وهذا هو تاريخ الخارج، وإما بتحديد الوحدة والتشابه وهذا هو تاريخ الذاتيّة.

فالاشتغال الفوكوي عبارة عن مساءلة سياسة الحقيقة التي تظهر في طبيعة الرّهان الذي تضعه ثقافة ما أو حضارة ما كأفق تحدد بواسطته هويتها، وتؤكد على المميزات الخاصة التي تطبع ذاتيتها. ما يدفعنا للقول أنّ فوكو ركز كلّ اهتمامه في أبحاثة التاريخيّة على الانطلاق من قضيّة راهنة تكتسي صفة البؤرة الأساسيّة التي تتمحور حولها جميع الاهتمامات، والتي تعتبر بفعل ذلك المجال الذي يحدد الحقيقة التي تمثل القيّم.

وتجربة فوكو تُشكل محاولة للإجابة عن هذه المفاهيم باعتبارها مآزق فكرية. ليبقى السؤال الاشكالي : الى أي مدى أسهم السؤال الاركيولوجي في التمهيد النظريّ للفكر المابعد_حداثوي بإعادة فهم آليات السلطة وعلاقتها بخطاب المعرفة ؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات جاءت كاللآتي:

-كيف تجلت حقيقة السلطة في فلسفة ميشيل فوكو؟ وكيف قرأ ميشيل فوكو سؤال السّلطة؟ وكيف يمكن للذات أنْ تُسلك بمعزل عن السّلطة والمعرفة؟.

-كيف يتم تشكلينا كذوات تُمارِس أو تُمارَسُ عليهم علاقات السلطة؟ أو بعبارة أخرى: كيف بلور "فوكو" رؤية جديدة لهذه المفاهيم اخترق بها حدود الهامش واللامفكر فيه؟

قمنا باختيار هذا الموضوع للدراسة لأهميته؛ فالسلطة كمصطلح -ظاهريا-هو واضح الدلالة لدى الجميع، ولكن في جوهره له عده دلالات، كما نهدف من خلال هذه الدراسة إيضاح المنظور الفوكوي اتجاه ثلاث كلمات ألا وهي: **السلطة، الحقيقة، الذات**

وللوصول الى تقديم دراسة واجابة لهذه الإشكالية وهذه التساؤلات اتبعنا المنهج التحليلي من خلال الوقوف عند كل جزئيات الإشكالية؛ وكذا التمفصلات الفكرية لميشيل فوكو من خلال هذا الموضوع.

1. النقد الاركيولوجي لسلطة إنتاج حقيقة الذات:

يبدو أن من يريد فهم فكر «ميشيل فوكو "؛ أو عمل من اعماله، سرعان ما يجد نفسه منساقا في لجة فكره، فلا يمكن تقديم فكر " فوكو" دون ان نتورط في التفكير معه والتماهي مع طريقته المخصوصة، رُب تماهي يقتضي فتح الحوار مع احتراس المسافة اللازمة وهو ما يسمح لنا بوضع فكر "فوكو" على محك الوصف الاركيولوجي بالمعقولية الجينيالوجية.

ولعل "نيغري" يؤكد على هذا الطرح بقوله "ان فوكو قد ترك لنا حدوسات لا تنفك تلاحقنا في الزمن الحاضر؛ بل وتدفعنا في كل مرة الى استخلاص صلاحيتها " (Negri، 2004)

ومن ثمة كان التفكير مع "فوكو" هو تفكير في هذه المضامين بأبعادها الابستمولوجية وتَشَكُلاتها الاتيقية ورهاناتها الجمالية، التي تحيل بشكل أو بأخر لقراءات وتأويلات مختلفة للتاريخ ومضامين هذا الفكر هي ما جعلت "فوكو" ؛ في تقدير "جيل دولوز" اكبر فلاسفة الفكر الفلسفي المعاصر.

- **الوصف الحفري من حدود المُفَكَّرِ فيه الى اللاَّمُفَكَرِ فيه:**

يعرف المنهج الفوكوي بالمنهج الأركيولوجي، فقد أحدث ميشيل فوكو تحولا في هذا المصطلح فسحبه وحوله من الناحية الدلالية والوظيفية عندما نقله من ميدان علم الآثار إلى الفلسفة والفكر، ولعل أول تجل لهذا التوظيف ظهر في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في عام 1959 عن

رسالته الموسومة "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" التي وضع فيها أسس المنهج الأركيولوجي ثم تبلور هذا المنهج في كتابه "الكلمات والأشياء" عام 1966، ثم بلغ المصطلح ذروته المنهجية في كتابه "أركيولوجيا المعرفة" أو "حفريات المعرفة". ومن المعروف أن فوكو يعد أحد أقطاب المدرسة البنيوية، لكنه تميز عنها بمنهجه الأركيولوجي.

ورغم أنه كتب العديد من المقالات والموضوعات حول اللغة، إلا أن موضوع اللغة كان هامشيا في فلسفته، في مقابل مركزية "الخطاب" من حيث أنه يحتل مركز كبير في إنتاجه العلمي والفلسفي (بغورة ا.، 2000، صفحة 29) . وفي كتابه "الكلمات والأشياء" طبق "فوكو" طريقته في تحليل مختلف الخطابات، خاصة خطاب البيولوجيا والاقتصاد واللغة، كما طرح إشكالية المنهج في كيفية تحليل مختلف الخطابات (بغورة ا.، 2000، صفحة 94).

ولم يكن هذا المنهج سوى المنهج الحفري، من حيث هو ملائم لا لقضايا العلم فحسب، بل ولكل النصوص الفلسفية والأدبية والقصص والقواعد التي تفرضها المؤسسات وحتى لقرارات السياسية. يحصر "ميشيل فوكو" مجال الخطاب في الممارسات اللفظية التي يتعين شروط ظهورها وانتظامها والكشف عن سماتها التاريخية، فالملفوظ هو الوحدة الأولية للخطاب، والأركيولوجيا هي تحليلا للأحداث الخطابية (ولدآباه، 1994، صفحة 104) وكلما تعلق الأمر بالكلام عن الحقيقة وعن الإنسان وعن التاريخ وعن الممارسات تصبح أشكال الخطاب بمختلف تمثيلاته في المقام الأول.

- **الخطاب واختراق الهامش**

إن الخطاب شكل من أشكال الممارسات تحكمها قواعد ما، لذلك ينبغي علينا الانصراف إلى ما وراء الخطاب ما يخفيه والكشف عن اللاّمنطوق فيه واللاّمفكر فيه، يعد هذا التحليل بمثابة تأويل يشكل مثيلا للنص الأول ففي كل خطاب كلام مسكوت عنه ينطق بها نص الخطاب، وهذا التحليل الأركيولوجي ما هو إلا إختراقاً للنص الأول وإعادة قراءته قراءة ثانية للكشف عن إمْكانَاته، والكشف عن المسكوت عنه الذي لا تقوله الكلمات المعجمية. من هنا، لم يَعد الخطاب في نظر فوكو إخبارا عن الحقيقة بل هو ما ينتج "الحقيقة" التي تفرض نفسها على وعي المتلقي، حيث يصبح هو ذاته واقعة وليس مجرد خبر عن الوقائع.

ما ينتهي إليه فوكو هو أن الخطاب يحتوي بين ثناياه على معاني صامتة تمتلي بنبع لا ينضب عن الأصل الذي يتعذر البحث عنه في أي مصدر أخر، ففي النص يكمن معنى الوجود، لا في الكلمات بكل تأكيد بل من خلالها كشبكة ينظر إلى ما ورائها ويهدف تحليل الخطاب عند " فوكو" إلى الكشف عن الأنساق الأساسية في ثقافة ما من حيث تحدد و تحكم اللغة وفضاءاتها الإدراكية ومجالاتها التبادلية وتقنياتها وقيمها وتراتب ممارساتها، من حيث أنها تفسير النظريات العلمية

والفلسفية ، ويتحقق ذلك بإبراز معايير الخطاب، وهي التي† يحددها فوكو كالتالي: (فوكو، حفريات المعرفة، 2005، صفحة 60_61)

- **معايير التكون**: وتتمثل في وجود قواعد تشكل بالنسبة لكل موضوعات الخطاب، ولكل عملياته ومفاهيمه واتجاهاته النظرية.

- **معايير التحول**: وتتعلق بتحديد مجمل الشروط التي توفرت في لحظة ما، وسمحت بتشكل موضوعات الخطاب، ولكل عملياته ومفاهيمه واتجاهاته النظرية.

- **معايير الاقتران**: تتمثل في مجموع العلاقات التي تحدد خطابا معينا، وتحدد موقعه من بين الخطابات الأخرى.

"الكلمات والأشياء" والتأسيس الإستيمولوجي للخطاب:

كتاب " الكلمات والأشياء" هو الامتداد الأكثر تخصصا في مشروعه الفلسفي، حاول في هذا الكتاب أن يضع تاريخا جديدا للعلوم الإنسانية كما تطورت في أوروبا فالكتاب يمثل المحاولة المنهجية الكبرى من أجل وضع أسس المتينة لقاعدة استيمولوجية ضخمة يمكن للفلسفة أن ترتكز عليها للقيام بوثبة جديدة.

كما اعتبره الدارسون لفكر " فوكو" فتحا جديدا من الفتوحات البنيوية في الستينيات من القرن الماضي لما احتواه من نظرة مهمة في مجال البحث الإنساني عموما، واللغوي على وجه الخصوص لكنه صنف في خانة الكتب اللغوية، بحكم تناوله للعلاقة الشائكة بين الكلمات وما تدل عليه.

يرى "فوكو" " أن اللغة قد غيبت تماما أو بالأحرى أبعدت عن جوهرها ومكانها الحقيقي فمنذ انفصلت اللغة عن التمثيل، لم يبق لها وجود حتى يومنا الحاضر، إلا تحت شكل مبعثر" (فوكو، ، 1989-1999، صفحة 254) فقد اندثرت قيمتها وفقدت في مجال البحوث الإنسانية والاجتماعية، بل وحتى الفلسفية واللغوية حيث تناسى الفكر أنها غاية في ذاتها وليست وسيلة، بالإضافة إلى الفهم الذي أحيط باللغة من طرف الفيلولوجيين، حيث اعتبروها " كما لو كانت أشياء كونها التاريخ ووضعها في متناوله" (فوكو، ، 1989-1999، صفحة 245)

فاللغة لم تعد سوى قوالب تحمل خطابات متعددة، فمن حالة التفسير، تكون اللغة بمثابة نصوص يجب تهميشها، حتى يظهر معناها الحقيقي المتواري وراءها، بمعنى أن البحث دائما يبقى منصبا على كشف المعنى الباطني الذي يمكن أن يتضمنه النص، ففعل القراءة في هذه الحالة

يكون متوجها صوب الكشف عن تلك المعالم التي لا تتمظهر على السطح اللغوي، وهذا هو جوهر التأويل، وهذا ما يرفضه ميشيل فوكو أثناء التعامل مع مختلف النصوص والوثائق التي خلفها الإنسان، ويمكن حصر هذه الوثائق في كلمة التراث، أو الأرشيف بالتعبير "الفوكوي" هذا ما أدى في نظره إلى تبدد وحدة النحو العام -الخطاب- وظهرت حسبه صيغ متعددة يستحيل إعادة وحدتها، وبدون شك لهذا السبب بالذات، يكون الفكر الفلسفي قد ابتعد طويلا عن اللغة" (فوكو، ، 1989-1999، صفحة 245)وهذا الابتعاد الشاسع بين الفكر الفلسفي واللغة أثر بالسلب على دورها في المعرفة، حيث غدت هامشا لموضوع الفكر أي أن دورها اقتصر في إزالة العوائق التي تعترض الفكر في مسعاه نحو الحقيقة واستمرت هذه الميزة عند النحويون على اللغة إلى غاية اللحظة النيتشوية التي اعتبرها "فوكو" منعطفا هاما في التاريخ المعرفي الغربي، فمع نيتشه - القرن 19- ستعود اللغة لتحتل مكانتها الأساسية في البحث الفلسفي فيرى فوكو أن نيتشه الفقيه، أول من قرب المهمة الفلسفية في حدود التفكير اللغوي" (فوكو، ، 1989-1999، صفحة 245) انطلاقا من تساؤله عن ماهية المتكلم أو بالأحرى من يمتلك حقيقة الخطاب؟.

وبناء على هذا الإشكال النيتشوي، حاول فوكو أن يبني تصورا جديدا للغة من خلال الكلمات والأشياء متخذا من البعد التاريخي أداة أساسية لتحقيق ذلك، حيث يتناول المسار اللغوي عبر الحقب التاريخية الكبرى التي مر بها الفكر الغربي، وفقا لتصنيف الأركيولوجي و آليات المنهج الحفري بدءا من العصر الكلاسيكي والنهضة وصولا إلى العصر الحديث، ساعيا فوكو من هذا، للحفر تحت البنى المعرفية الغربية في ارتباطها بالحقل اللغوي، والخطابي، وكان ذلك انطلاقا من إشكالية جوهرية صاغها كما يلي : "ماهي اللغة، و كيف يتم الالتفاف حولها لإظهارها بذاتها و كلماتها" (فوكو، ، 1989-1999، صفحة 255)

فجاءت الكلمات والأشياء لتجيب عن هذا السؤال الذي يمثل جوهر التحليل ويعتبر هذا الكتاب المنعطف الحاسم في المسيرة الفكرية "لفوكو"، مركزا من خلاله على تحليل الذات*، بمعنى "الأنا الغريبة" في تشكلاتها بين الخطابات المختلفة، مفككا بذلك مختلف إنجازاتها، مستقصيا المسار التاريخي الذي ظهرت فيه مقولة العلوم الإنسانية، واقفا على أهم القطائع الإستيمولوجية التي عرفتها الحضارة الغربي ، محاولا بذلك التأريخ لظهور مقولة الإنسان

من هنا يغدو الخطاب لدى فوكو يظل أسير «إرادة المعرفة» التي تضفي على بعض الصيغ الخطابية قيمة الحقيقة، أو قول الحقيقة. وعلى صيغ أخرى مثل الحمق والجنون، طالما أنها لا تستجيب لمكان جدي في شبكة الحقيقة المتفق عليها. إن إرادة الحقيقة هي وحدها القادرة على تحديد ما هو حقيقي وما هو ضمن الحقيقي، وانطلاقا من ذلك يحدد ميشيل فوكو أربعة أنماط لقول الحقيقة. قول الحقيقة النبوية: أن شخصية الذات النبوية لكي تتأسس ينبغي أن تحقق

نوعا من القطيعة مع العالم المحسوس، عالم الخطأ، عالم المصلحة والرغبة، مع كل العالم الذي يكون بالنسبة للحقيقة «الخالصة» والخالدة» عالم الظلمات والانتقال من عالم الظلمات إلى عالم النور، من عالم الخطأ إلى عالم الصواب، من عالم العبور والفناء إلى عالم الدوام والخلود هذا الانتقال هو الذي يؤسس الذات النبوية كذات قادرة على قول الحقيقة وعلى رؤيتها. إن النبي هو إنسان يقول الحقيقة وما يميز الحقيقة النبوية عن باقي أنماط الحقيقة أن النبي إنسان لا يمكن تصوره خارج وضعية الوسيط، فالنبي تعريفا لا يتكلم باسمه الخاص، بل إنه صوت آخر للكلام الذي يعبر عنه، هو كلام الله يخاطب الناس بخطاب إلهي، النبي إذن وسيط بين الله والناس، النبي أيضا وسيط بالمعنى التالي: إنه وسيط بين الحاضر والمستقبل فهو يكشف ما خبأه الزمان عن الناس، وسيط كذلك باعتباره يكشف ويعري ويوضح ما خفي عن الناس، لكنه لا يقول الحقيقة في تمام وضوحها لأنه تبقى دائما ضرورة التساؤل حول ما قاله. هل فهمنا كلامه فعلا؟ يكون النبي هنا وسيطا بين الوضوح والكشف، الغموض والسر. قول الحقيقة الفلسفية: الفيلسوف يختلف جوهريا عن النبي. الفيلسوف لا يتكلم باسم غيره، بل يتكلم باسمه هو، ليعلن ما ينبغي أن يكون، ولكنه يفسر ما هو كائن بالفعل. إن الفلسفة منذ أفلاطون تهتم بتفسير وفهم ما هو موجود، وإشكالياتها تتعلق بطريقة فهم ما هو موجود، كما يجب أن يفهم. قول الحقيقة السياسية: السياسي لا يتكلم باسمه، بل باسم المدينة وهو يختلف عن الفيلسوف لأنه لا يكتفي بتفسير ما هو كائن، ليقول ما ينبغي أن يكون. قول الحقيقة التعليمية: يظهر الأستاذ كشخص يقول الحقيقة، هذا الشخص قد يكون فيلسوفا محترفا أو حرفيا أو صانعا أو موسيقيا أو رياضيا يملك معارف وأفكاراً مرتبطة بممارسات وتمارين أعطته القدرة على أن يعلمها للآخرين. الحقيقة وفق هذا المعنى تجد دوما قائلها، لكن كيف تتشكل الذات وتصبح قادرة على قول الحقيقة؟ لم يكن ينبغي انتظار الكنيسة كمؤسسة لكي تظهر الذات بوصفها ذاتا تعترف بالحقيقة للقس، أو انتظار مؤسسة التحليل النفسي كي تظهر الذات كذات قائلة للحقيقة عن المعاناة والمشاكل النفسية، أو انتظار المؤسسة الطبيعية لقول الحقيقة عن الجسد والصحة والمرض

2. سؤال السلطة ... مقاربة تأسيسية بإشكال فلسفي.

إنَّ طبيعة الأشْكلة المفهومية لمسألة السلطة –فلسفيا- يعود بالأساس إلى عدة منظوريات اختلفت في توصيف و تحديد هذا المفهوم و ضَبطه فمنهم من اعتبرها (القُوة) أو (قُوة الإرغام) و منهم من أَسسها انطلاقا من (العقل) ومنهم من رأى أنَّها التنسيق الضروري بين الحكام و المحكومين؛ والسلطة في ابسط معانيها هي:

[القدرة و القوة على الشيء؛ و السلطان الذي يكون للإنسان على غيره...] ؛وهي " الاجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كسلطات السياسية و السلطة التربوية، والسلطات القضائية و الدينية وغيرها" (صليبا، 1982، صفحة 670) هذا التعريف يجعل منها ظاهرة اجتماعية بامتياز

يقصد بها التوصل من خلال علاقات تقام مع الاخرين بغية الحصول على خدمات أو الظفر بطاعتهم.

أمَّا التمشى الفيبري(ماكس فيبر) يفسرُ هذا السؤال كنوع من " القيادة التى تعمل لإيجاد الطاعة أو الائتمار عند أشخاص معينين (عواضة، حنان على، 2013، صفحة 268) ، فقد قَسَّم السلطة الى أنواع كل نوع يَحْتكم وفقَ "السلوك الاجتماعي"، فهناك سلطة العادات والتقاليد في المجتمع ، وأُخرى تقوم على أساس عاطفي بسبب إعجاب الجماهير بالقائد أو الزعيم ، وسُلطة قد يكون أساسها التفكير و" التَعقُّل" وذلك من خلال إقناع الناس بشرعية وإمكانية صاحب السلطة لتتمظهر أشكالها في **السلطة التقليدية، السلطة الكارزمية، والسلطة العقلية**. لكنه يري بأن السلطة التي كانت تُسمى بـ" الضبط الإجتماعي" هي التي لا يمكن لأي بناء اجتماعي الوجود بدونها؛ ومنه تعد السلطة قوة منظمة ذات قدرة عالية على تحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي، لأنها تمتلك أدوات تستند إلى التنظيم العقلاني مما يساعدها على ضبط سلوك الفرد والمجتمع، ومنعهم من ممارسة عمليات الإقصاء والتمييز والظلم ضد الأخر سعياً وراء تحقيق مصالحهم وحاجاتهم، هذه الرؤية استطاع فلاسفة ومفكري **نظرية العقد الاجتماعي** من ترسيخها، مما غير من شكل وطبيعة السلطة من الموروث التقليدي إلى البناء التنظيمي الذي أَسْهمَ في تطور وارتقاء المجتمع المدني السياسي الغربي، فالسلطة تستمد شرعيتها من الخير الذي يُطال الأفراد، نتيجة عيشهم بحُرية مَصونة ومسؤولة، وأيضاً من الحقوق التي تكفلها وتصونها لهم، وتعمل على سيادة قيم العدالة والحرية والمساواة، وفق مُواطنة مُصانة بالدُستور يَحْترمُ الإنسان لإنسانيته، وتطبيق القانون على أفراد المجتمع دون استثناء، فهي دولة القانون؛ دولة العقد الاجتماعي (العلوي، 2008)، وتستمد السلطة هذه المشروعية من خلال الانتخاب؛ أي إنَّها جاءت وفق انتخابات، وهي جُزء من العقد الاجتماعي لكن الأهم هو الذي يؤسس لمشروعية أقوى، فلا بد من أنْ تنعكس الفعالية والفاعلية في عمل أي سلطة لتتبلور في مشروعية الإنجاز، التي تعني خطط العمل وتنفيذ البرامج التي كانت بمثابة وعود للشعب، وفي حال الفشل في التوفيق بين مشروعية التفويض الشعبي، التي حصل عليها بالانتخاب ومشروعية الإنجاز وهو على رأس السلطة ، فإن التداعيات السلبية ستنعكس عليها، وقد تتآكل مشروعيتها (حزام، 2003، صفحة 45)

من هنا كان التَفَكُر في هذا المفهوم يُرَدُّ إلى ظاهرة اجتماعية في كُليتها كنوع من السلطة "**الضابطة الملزمة**" سواء كان ذلك على مستوى السُلطات الحاكمة أو على مستوى المُؤسسات الدينية والاسرية، هذا النموذج الاجتماعي الذي بلورهُ "إيميل دوركايم" (كردي، صفحة 113) جعل منه نموذج قانوني يربط بين السلطة والشرعية ويردُهما دوما إلى دور الحكومة المركزية و ما ينبثق عنها من تشريعات.

أمَّا الطرح الماركسي فيؤسس لهذا المفهوم انطلاقا من الطبقة الاجتماعية ودورها في امتلاك عبر جهاز الدولة "**سلطة القرار، و سلطة الاستخدام الأمثل لقوى الإنتاج**" (كردي، صفحة 114)

هذاَ التَوصيف لمفهوم السلطة يُفضي الى مَعنييْن: الأول ينطوي على معنى **القوة** ، أما المعنى الثاني فينطوي على دلالة **سياسية أو قانونية** محددة، فيقال مثلاً السلطة السياسية، أو السلطة الشخصية، أو السلطة الفردية، وفي بعض الاحيان تستخدم للتعبير عن وظائف الدولة أو مرادفة للصلاحيات والاختصاصات .

ومن أجل استكمال توضيح مفهوم السلطة ، فإننا نراهُ يَختلف من مجتمع لآخر، ومن تقاليد سياسية لأخرى، وأنَّ مفهوم السلطة مركب من عناصر مادية ومعنوية.

هذه الضُروب المتعددة من تَمظهرات السلطة .. مُذ اللحظة التي أخذ فيها هذا البحث بُعدا تأسيسياً لم يخرج من الضروب التقليدية التي أسست "**ملكية السلطة**" أي الامتلاك المتفرد للسلطة من طرف الدولة أو من طرف فئة معينة في المجتمع، غير أنَّ اشتغال فوكو بهذا المفهوم أخذ مُنعطفاً **إبستيمياً** يتوخى الحفر والمساءلة من منطوق خارج كل المعقوليات التقليدية فكيف **قرأ ميشيل فوكو السلطة**؟

3. المقاربة الفوكوية للسلطة: في مُسَاءلة المفهوم

لقد قادت موجة الاحتجاج العارمة التي اجتاحت فرنسا على مدار شهر في العام 1968 من قبل الطلاب والعمال الذين شلوا حركة الحياة وهددوا السلطة البرجوازية بالسقوط؛ إلى تساؤل فوكو عن ماهية السلطة فبالرغم من تحقيق هذه الموجة لبعض التغيرات الهامة على مستوى العلاقات وتحقيقها بعض المكاسب إلا أن السلطة قد نجحت في تجاوز تناقضاتها واستطاعت احتواء هذه الموجة بشكل يرتد نحو أحقية وجودها.

قاد هذا السؤال فوكو إلى إعادة التفكير بالسلطة بمنهج فلسفي جديد يعلي من سياج فلسفة العلاقة على حساب فلسفة الموضوع، وهنا خرج **ميشيل فوكو** بكتابه "**المراقبة و العقاب**" 1975 ليدرس علاقات السلطة في بنيتها التحتية كاشفا حفريا حقيقة الثورة، هذه الثورة هي التي أحدثتْ قطيعة معرفية كبرى في تاريخية السلطة، فبعد أن كان النظام في نهاية القرن الثامن عشر يُوصف بأنَّهُ نظام فوضوي أصبح الآن أكثر قمعية و انضباطية، وباتت المُجتمعات بعد الثورة مُجتمعات امتثالية تراقبُ الفرد وتصرفاته، بمعنى آخر تحولتْ المجتمعات بفعل الحداثة من مجتمعات العقاب الى مجتمعات المراقبة .

إنَّ قراءة فوكو للسُلطة يختلف كثيرًا عن النماذج التي تُردُّ فيه الظاهرة الاجتماعية في كُليتها إلى نوع من السُلطة الظابطة الملزمة سواء كان ذلك على مستوى السُلطات الحاكمة او السلطات الدينية و الاسرية، وكذلك عن النموذج القانوني الذي يربط بين السلطة والشرعية و بالتالي

يتموضعُ التصور الفوكوي على أنقاض نظريات متعددة ويمكن القول أنَّ فوكو قد "**لامس السلطة من الخلف**"، فقد عَمل على بناء تصور جديد مغاير لطروحات منها:

_ نظرية التعاقد التي افترضت أنَّ أساس السلطة هو العقد الاجتماعي، في الآن نفسه احتكار للإكراه فيما يعتقد **توماس هوبس** ، كما لاننسى تراضي أطراف العقد مما يؤسس للسلطة شرعيتها. (جيلالي، 2016)

_ نظرية السيادة و الحق والتي تنطلق من أنَّ الحق هو الذي حدَّدَ فعل السلطة ويتنبأ بمفعولها (قواعد قانونية)، والسيادة هي علاقات المنبع و الالزام بدقة الشكل القانوني للسيادة،

_ النظرية الماركسية التي تَجعلُ من السلطة تجسيداً في جهاز الدولة، وأنَّ السلطة في يد طبقة معينة (مجذوب، 2014)من هنا سعى فوكو إلى تحطيم وتقويض كل هذه المنظوريات و يتعدى متاهاتها الوثوقية، وما توقف عنده بالخلاصة هو أنَّ السلطة هي:

- نتيجة علاقات قوى تقوم على إخفاء وحجب عمق العلاقات بين الافراد _بين ذوات حرة ومرتبطة بمفاهيم المعركة والمواجهة والحرب.
- لاَمس فوكو نظرية الحق والسيادة من حيث أنَّها أغفلت ان الحياة وليس الحق هو الذي يشكل الرهان (بيو-سلطة) وعلى هذا الأساس لاَبُدَ من الاستعانة بـ **" التأديب"** وليس **"السيادة".**
- السلطة الذي تكلم عنها فوكو حاضرة في كل مكان، فهي تتموضع في النسيج الإجتماعي وتبدأ من الأسرة؛ فهي غير قابلة للإمساك عديمة الماهية، مفككة، مبعثرة ومنتشرة.
- تقويض مسلمة **مركزية السلطة** و إنحصار موقعها وتفنيد التصور الذي مفادهُ أنَّ السلُطة تُؤَول الى الدولة وباقي الأجهزة التابعة لها؛ فهي **لامركزية** و أنَّ الدولة ذاتها مفعول أو حصيلة لمجموع الدواليب و البؤر و الآليات التي تشتغل في الحقل الاجتماعي بلا هواة.

اذن: تكشف إعادة قراءة فوكو لهذا المفهوم بأنها ليست ملكية بل هي استراتيجية لا تعود للإمتلاك بل الى حيل ومناورات وتدابير وتقنيات وتكتيكات.

انطلاقا من هذا الطرح يتضح لنا أنَّ مفهوم السلطة مع ميشيل فوكو يتخذ معنى أوسع بحيث يستوعب تحولاتها و تمظهراتها المختلفة ، ويرفض أنْ تختزل في علاقة الحاكم بالرعية ولعَّل هذا ما أدي به الى طرح إشكالية جديدة مثل مفهوم **ميكرو-فيزيا السلطة**

4. المفهوم الميكرو-فيزيائي للسلطة (التحليل الذري للسطة)

إذا كان فلاسفة الحداثة و العلوم الانسانية قد صنفو الواقع و قامو بقراءته رياضياً، فإن فيلسوف مابعد الحداثة "فوكو" أضفى على السلطة كَمُعطى مُحايث ودقيق بُعدًا فيزيائيا ويعود

الجذر المعرفي لهذا المفهوم الى الفضاء الإغريقي وتحديدا التصور **الذَّري** عند "ديموقرطيس" فالمادة عندهم تتكون من جزئيات بسيطة غير قابلة للتجزئة تسمى **الذرات** (مصطفى، 2017) والذرة موجودة في كل مكان، أما فيزياء "أرسطو" والذي إعتبرت أنَّ جميع المواد تتكون من "**الاثير**" قد أصبح منهجا والنموذج الامثل في وقت " غاليلي غاليلو" و "إسحاق نيوتن"، كما نجد ان هذا المصطلح له جذور علمية مع فيزياء **الكوانطا** وهي كلة يونانية برزت مع الثورة العلمية التي سادت القرن 20، و تحديدا مع "ماكس بلانك" وتُعدُّ هذه النظرية ثورة في فهم الانسان لطبيعة الذرة و حبيباتها.

فإشتغل "ميشيل فوكو" ضمن هذا الفضاء، وإقترب من "لودفيغ فيتجنشتين" وأنجز ضمن هذا الاشتغال **فلسفتة التحليلية السياسية** (جيلالي، 2016، صفحة 9)، وتمكن من تفتيت السلطة الى جزيئات و ذرات صغيرة على الطريقة الفيتجشتانية في التحليل، وإنطلاقا من تشريحيته للسلطة إنتهى الى أنَّ هذه الاخيرة تعني (علاقة القوى)، وان لها تقنيات متعددة الاشكال (فوكو، ارادة المعرفة، 1990، صفحة 35)، ولا تعني فقط مؤسسات وأجهزة، وأشكال الاخضاع القانوني ولا نظام الهيمنة.

فالسلطة باعتبارها مظهر من مظاهر الحداثة، فقد أبرز الفكر المابعد-حداثي لدي فوكو على الوجه المخصوص بأنها تلك الحركة التي تحول القوى وتزيد من حدتها وتقلب موازينها بفعل الصراعات و المواجهات التي لا تنقطع، وهي السند الذي تجده تلك القوى عند بعضها البعض، حيث تُشَكَلُ تسلسلاً و منظومة، أو على العكس تُشكل تفاوتًا وتناقض بعزل بعضها عن البعض، وهي أخيرا "**الاستراتيجيات التي تفعل فيها تلك القوى فعلها، و التي يتسجد مرماها العام و يتبلور في مؤسسات و اجهزة الدولة و صياغة قانون و اشكال الهيمنة الاجتماعية**" بمعنى أنَّ فوكو يتحدث عن التشكل الاتيقي للذات، والتي تستدعي من الذات أنْ تُمارس ذاتها لتحقيق فراداتها في الوجود (حيدوري، 2017، صفحة 129) .

هذا التحليل المباشر لموقع الذات في السلطة يُفضي بأن اهذه الاخيرة مأخوذة في شبكة علائقية انتاجية و دلالية متورطة في علاقات السلطة (العيادي، 1994، صفحة 52)،فالذات الحداثية حسب فوكو لم تكن على الاطلاق خارج السلطة التي صاغتها فعليا (البنطيجي، 2017)، فالذات تشارك السلطة في كل ما هو اجتماعي، وهي تتصرف وفق القانون و تعترفُ به وتدمج السلطة في داخلها كواجب-وجود الذي لا يُمكنها البُعدُ عنه، وبذلك تُنجزُ قطائع داخل الذات بين الواجب والوجود، ومن ثمة فهي تصنع مسألة **الحقيقة في الذات**.

إنَّ انتاج الذات لحقيقتها هو أحد الأَشكال العُظمى للخضوع (الاعتراف، الذنب)، فضرورة الخضوع تنتج حقيقة الذات التي لن توجد قبل في السلطة لكنها تعبر عن نفسها في **المقاومة** النسبية حيثُ حقيقة الذات يُمكن أنْ تعمل أيضاً على نزع شرعية السلطة، فالاستقلالية هي في

الواقع حقيقة لكنها تختزل في عملية إدماج القانون داخل الذات و القبول به عوضَ أنْ تبتكر قوانينها الخاصة أي أنَّ **"الذات لا تتشكل خارج العلاقات الاجتماعية و العاطفية و كل أشكال الارتباطات"** (الطريبق، 2010)

من هنا يمكن القول أنَّ الذات التي تحدث عنها فوكو مُخَالفة للذات الكلاسيكية لأنها خلقت عقل مُتسلط و فضاءات تعمل داخلها السلطة بصفتها أداة للحجز، والقهر والعنف . والسيطرة على الجسد والحقيقة، فشرع فوكو من خلال مساءلته لتغييب الذات مما أدى للاهتمام بذوات متعددة تتكلم ومن البَيِّين أنَّ التعدد هو **عنوان الانسان المبدع** للوجود بما هو أثر فني و كَ ممكنات حيوية ، و إمكانات خَلاَقة، فصار فن **الممارسة الذاتية** أو **التدبير الذاتي** بما هو تجربة تَتَقوَمْ على التَفَكُر -في الذات- من جهة المعرفة والاهتمام وفي سياق مشكل العلاقة بين ما هو إتيقي وسياسي؛ الذي يؤسس أساليب في الحياة وأنماط جمالية في الوجود و من ثمة تصير المعرفة قُدرة على الخلق و الابتكار، ليس كَقبل طريقة في تحصيل الحقيقة، فالحياة لا تعني التطابق مع الأوامر التشريعية الأخلاقية أو الأعراف بطريقة تواءم فيها ذواتهم، التي تعتبر مصنوعة أو جاهزة مسبقا في قالب أُعدَّ مسبقاً منْ قبل التشريع ، على العكس إنَّ الذات تفْصلُ نفسها عبر مفهوم العُرف لتأتي وتستوطن و تندمج فيه، فما يُعدُّ قضية بالنسبة له ليست الافكار أو التصرفات أو المجتمعات أو الإيديولوجيات، ولكن الأستشكالية التي من خلالها يسمح المرء لنفسه أنْ يكون بالضرورة عبر الفكر، والممارسات على الأساس الذي تشكلت منه هذه الاستشكاليات.

وفي ظل هذا الفهم نجد انفسنا أمام مأزق إشكالي يتمثل في: **كيف يمكن للذات أن تسلك بمعزل عن المعرفة و السلطة؟**

وفعلا إنَّ هذا الطابع الإستشكالي للذات سينقلها برمتها إلى **النهج السلوكي** الذي كان على الأفراد إتباعه داخل هذا الأفق بالتحديد (بوجليدة ع.، 2017، صفحة 21)، هو إقرار بنوع من الاستقلالية عن الأنظمة المعرفية أو السلطوية، من هنا اهتم فوكو **بالذات** –الاهتمام بالذات- منذ تاريخ الجنون؛ فثقافة الذات لدى اليونانيين حسبه أساسها الطي والثني الذي يرتبط أيضا بمسألة إنتاج الحقيقة لإعادة انتاج السلطة، ورهان ثقافة الذات في صلتها بالحقيقة هو مواجهة السلطة فاذا كان الفرد خاضعا لإستراتيجيات إنتاج الحقيقة كان هو ذاته مُنطلقا أساسياً لأنظمة المعرفة، وبالتالي سيكون ضحية للسلطة تتلاعب به و تعمل على تطويعه و التحكم فيه، فهذه الصلة الكامنة في الذات بين إنتاج الحقيقة من جهة وإنتاج السُلطة من جهة أخرى تؤسس لإمكانيات تحرر الذات من السلطة التي تأتي من الخارج من خلال إنهمامها بذاتها و بالأخرية (حيدوري، 2017، صفحة 150)، لذلك يريد فوكو أنْ يكشف المزيد عن الذات و تحديد موقعها في المجتمع بإعتبارها **"الذرة**

الوهمية لتصور الايديولوجي للمجتمع لكنها أيضا واقع مختلف بواسطة تلك التقنيات السلطوية الخاصة التي تعترف بالتأديب (حيدوري، 2017، الصفحات 150-151)

من هنا إقترح "فوكو" الإنهمام الكلي للذات والذي يتحقق في عملية بناء للذات بالذات، والتي تكون في جوهرها جمالية إستطيقية فيسعى الفرد من خلالها للإنعتاق من تقنيات السلطة الرقابية والعقابية، والتركيز على فن الوجود الذي يعنى بعلاقتنا بذواتنا وعلاقتنا بالعالم وبالأخرين. كل ذلك يوفر القدرة على مواجهة السلطة الحيوية التي تمارس سُلطتها على الأجساد والحياة والمجتمع، وما العناية بالذات إلاَّ محاولةً لتقصي السلوكات والممارسات وأنماط التحكم فيها (حيدوري، 2017، صفحة 150).

وما يُميز سلطة" فوكو" هو إعادة صناعة هذا المفهوم ورسم معالمه الخرائطية، والمقصود من هذا حسبه أنَّ للسلطة مناطق و هوامش لابد من اختراقها لاكتشافها وإماطة اللثام عنها، وإسقاط الجدار-الستار- الذي تختبئ وراءه أي؛ الأبعاد الاستراتيجية التي تختبئ و تتوارى في **إقليم الذات** (جيلالي، 2016، صفحة 09).

5. التَّفَكُر في الذات من جينالوجيا السلطة إلى رهانات الحقيقة.

إقتحم ميشيل فوكو بمنهجه الأركيو-جينيالوجي عن المتواري و المتخفي في السلطة، واشتغل على تفكيكها و الحفر المعرفي في طبقاتها المُتراصة، وهدَّم بذلك اهم المسلمات التقليدية (**التملك، الاختزال، التبعية، الجوهر**) فطرح تصوره الميكروفيزيائي للسلطة و تناولها كما تُمارس في تعقيدها الاستراتيجي، وفي شبكة قواها المتعددة وفي أشكال توزعها وقنوات استثمارها وسُبل تداولها وكذا نوعية الخطابات التي منها تسللت لتُثَّبت في الممارسات والسلوكيات الفردية و الفرعية و الدقيقة، ولجأ الى السُلطة من خلال المفاهيم التي تستند إما الى نماذج قانونية (ما الذي يُشرع للسلطة؟)، إما الى نماذج مؤسسة (ماهي الدولة؟). وباعتبار أنَّ هذه الأخيرة أي السلطة لا تتوفر على أدوات تحليلية متبلورة إبستمولوجيا اعتزم فوكو على تشريحها وتفكيك آلياتها بنكر المعايير القانونية و الاتجاهات الأخلاقية ويقصيها من مضمار الفهم بسبب عجزها في تنظيم العلاقات بين أعضاء المجتمع، ويعتبرها مجرد **أوهام بل إنها لا تعمل سوى على إخفاء و تقنيع العلاقات الاستراتيجية الخفية** (معزوز، 2008)

يضع فوكو نموذج استراتيجي مغاير فلا ينبغي النظر الى السلطة كملكية قارة ومُستقرة في يد ذات فردية أو جماعية، بمعنى أنها لا تنبع ذات واحدة ممتلكة **للقوة** بل إنها مبثوثة في كل الأنسجة الاجتماعية و الرمزية المتصادمة، **إنها علاقات القوة المتجسدة في آليات الانتاج داخل الأسرة والمجموعات الصغيرة وداخل المؤسسات وتسري في الجسد الاجتماعي ككل** (الزواوي، 2008)، من هنا تكمن أصالة الدرس الفوكوي بإعادة صياغة سؤال السلطة و توسيع أبعاده **لتوضيع سؤال الذات.**

6. التَّفَكُر في الذات و الحقيقة:

إنَّ إشكالية الذات -سؤال التذويت- تجد ما يبررها في التمشي الإشكالي لفلسفة فوكو فـ بالرغم من عودة الإشكالية المتصلة بثقافة الذات، وأشكال تدبيرها لذاتها و العودة التاريخية في مرجعيتها الثقافية الإغريقية و الرومانية إنما تعتبر عودة تساؤلات عن حقيقة المشروع الفلسفي لدى فوكو، والذي تمحور على الوجه المخصوص في المشكل التاريخي للذات و علاقتها **بالحقيقة والمعرفة والسلطة والاخلاق** وهو ما سعى الى تحليله، وذلك من خلال **تَفَكُرْ الذات** في الانظمة المعرفية و الممارسات الاجتماعية للحياة الجنسانية، و أشكال الممارسات السلطوية (حيدوري، 2017، صفحة 103)

فقد قدم ميشيل فوكو من خلال كتابه "المراقبة و العقاب" تصورًا لمسألة الذات من وجهة نظر السلطة وأشكال الإخضاع. الأمر يتعلق بتاريخ "**إستعمال للَّذات**" مركزا حول إجراءات **التوضيع** Objectivation. فاستعمال اللّذات و الإنهمام بالذات يقلبان هذا التصور من خلال تحليل الطريقة التي تشكلت بها الذات كـ "ذات" داخل حقل هي فيه حرة تجاه الأنظمة الرمزية و الممنوعات، حسب إجراءات **التذويت Subjectivatio** التي هي إجراءات الإتيقا، لم يعد الأمر يتعلق بالحجر والحبس

و العزل... فآليات السلطة التي تصف المراقبة و المعاقبة ترتيباتها الدقيقة تترك مكان للتجارب، تجارب الحياة الجنسية حيث يجب على الذات أنْ تسير حياتها حسب أشكال معينة للتأمل في النفس، فالقاعدة لا تغيب. لكن بدلا من أنْ تفرض على الذات فإن هذه الأخيرة تمنحها لنفسها تبعا لفن معين للعيش ولأسلوبية ما في الوجود (فوكو، الانهمام بالحقيقة، صفحة 23)

إنَّ الاحتراس الفوكوي في تناول تاريخ الذاتية، سواء من خلال التقسيم الذي يُقام داخل المجتمع باسم الجنون والمرض والانحراف، من أجل قياس التأثيرات التي تُحدث على شخص عاقل وعادي؛ سواء من خلال تحديد أشكال التوضيع داخل المعرفة كما أبرزها في مجال اللغة والعمل والحياة، أومن خلال الوقوف على الأنماط الأخلاقية (حيدوري، 2017، صفحة 128).

فما تُظهره هذه المحاولات هو أنَّ الحقيقة في "**عمقها لعبة بين ما يتم إبرازهُ على أنه أساسي، وبين ما يتم إبعادهُ على خطأ ووهم**" (حيدوري، 2017، صفحة 131)،

ويُمكن أنْ نقول أنَّ أعمال فوكو ودراسته للذات وتعدد تَمَوضُعاتهاَ، ينتج عنه تفتيت الذات الى مستويات مختلفة. لكن اذا عدنا إلى الكيفية التي عالج بها فوكو هذه المسألة - أي تاريخ الذاتية- فإننا نلاحظ اهتمامه بالذاتية، ينخرط في إطار **تَأريخه للحقيقة**، بهدف إبراز النقط والأماكن المُتعددة التي تؤدي الى تشكيل حقيقة الذات. لأن نمط وجود الذات ليس واحداً؛ كما لا توجد هوية ثابتة تطوي جميع أشكال تَموضع الذات بطريقة يطبعها التطابق أو التشابه.

إنَّ فوكو اهتم أساسا بشكلين من أنماط حقيقة الذات. يتمثل الشكل الأول في خضوع الآخر للذات وما يميز هذا الشكل هو الاقصاء والهيمنة، لأن الذات كحقيقة لا تتأسس كذلك إلا عندما تسيطر و تهيمن في المستوى الأول، تظهر الحقيقة على أنها ما يأتي من الخارج وما يتشكل من العلاقة التي تحدد طبيعة "الذات" انطلاقا من الآخر، وما يجعل المهمل والمقصي فالحد السلبي الذي يسمح لحقيقة الذات أن تبرز كشيء إيجابي.

و تكمن أهمية هذا المستوى في كونه سمح لفوكو في إطار النقد و التفكيك، إقامة **نقد للحقيقة** بإبراز أشكال الهيمنة التي مورست على الطرف الذي أقصى باعتباره ليس حقيقيا.

أما الشكل الثاني فيتعلق بالداخل عندما تؤسس الذات حقيقتها بفعل تحويل الخارج إلى داخل، فتصبح الحقيقة ما تم طيهُ وثنيه، بهدف جعل الذات لا تخضع إلا لذاتها ولا تقيم الحقيقة إلا من خلال نفسها، في هذا المستوى تظهر الحقيقة كإطار تستعيد الذات فيه هدوءها وسكينتها، بعد هيمنتها على الأخر الذي يجسد القوة القادمة من الخارج.

من خلال المستويين نستشف عدم انفصال أو ابتعاد الحقيقة عن مجال الصراع الذي يؤدي الى السيطرة والهيمنة، لأن الحقيقة ليست محايدة ولا تنتظر من يتكلم باسمها ومن يعمل على إخراجها إلى وضح النهار "**إنَّ الانسان هو يعمل وهو يحيا ويتكلم ويرغب...يؤسس نمطا خاصا من الذاتية كحقيقة**"، لأن السلطة تَخترق أشكال الحقيقة أي الذاتية. وما انفك أنْ يشرح هذا الصراع الذي يتجسد في المجتمعات الحديثة التي عملت على إخضاع الإنسان أو كَما يقول: " **نحن في يد السلطة قد تحملت وأخذت على عاتقها موضوع الجسد والحياة...تتجاوز كل سيادة انسانية**" (فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، 2003، صفحة 244)

7. التواشج السلطوي المعرفي (من أركيولوجيا المعرفة الى جينيالوجيا السلطة)

من خلال تحليلات الخطاب السلطوي يتضح أنَّ ماهية الانسان حيال هذه التقنيات هي التبعية بشكل مطلق، فكل فرد مكَبل بأغلال الخطاب وتابع للإجراءات السلطوية، وبالتالي يتحقق الهدف الذي رسمتهُ لنفسها والمتمثل في الفردنة والتذويت؛ مما يعني أنَّ الذات ليس لها بعد وجودي في ذاتها بل إنَّ وجودها يتحدد وفقا لتصنيف المعرفي الذي وضعتها في السلطة.

من هذه النقطة يرى فوكو أنَّ تصور "فصل السلطة عن المعرفة" فكرة من مُخلفَّات الإرث الميتافزيقي الذي يرى "**في المعرفة مجالا للحرية و القيمة الاخلاقية، وبين السلطة كمجال للقهر و الشر**" (بغورة ا.، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، 2000، صفحة 249)في حين أن فوكو من خلال تحليلاته للخطاب السلطوي أسَّس لمفهوم جديد هو **التشابك أو التواشج الذي يركب بين السلطوي/ المعرفي** فالصحيح حسبه هو أنَّ "**السلطة تنتج المعرفة و أنَّ كلاهما تقتضي الأخرى وأنه لا وجود لسلطة دون تأسيس معرفي مناسب، لا توجد معرفة لا تقترض ولا تقيم بذات الوقت علاقات السلطة**" (فوكو، المراقبة و العقاب-ولادة السجن-، 1990، صفحة 65)

فمفهوم المعرفة يحيل إلى مجموعة الإجراءات المعرفية المقبولة في فترة محددة، أما "**السلطة فتشمل سلسلة الآليات الخاصة و المحددة التي تلقى الدعم بأنماط سلوكية وخطابات محددة**" (السيد، 1994، صفحة 186)

فكل خطاب لاَبُدَّ وأنْ تَدعمهُ آليات سلطوية ليلقى القبول والتحقيق كما هو الأمر في الطب النفسي الذي يدعي صفة العلمية، وتكون السلطة هي من نصَّبتها على منصة العلمية وأعطتها صفة القبول. لأنه دون وجود هذه الأنماط المعرفية لا يمكن للسلطة أنْ تقوم بوظائفها في السيطرة على الجسد فإذا تأملنا وعدنا الى الجنون لوجدنا أنَّ الطب النفسي صناعة سلطوية بامتياز لكي تُمارس هذه الأخيرة آلياتها دون أي حواجز، فالمجنون لا يُعرف إلاَّ من خلال الطب النفسي هو من يمنحهُ جوهر العقل أو ينزعه منه فالمركب السلطوي المعرفي يشكلان كتلة واحدة، لهذا يرى فوكو أن مهمة الجينيالوجيا تتمثل في "**خوض معركتها ضد آثار السلطة الخاصة بالخطابات العلمية المتعددة**" (فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، 2003، صفحة 37)فهو يعتبر الإنجازات العلمية في القرن 18 على الوجه المخصوص أهم فترات التاريخ في التقدم العلمي والتكنولوجي للحضارة الغربية؛ إلاَّ أنَّهُ يرى فيه من زاوية أخرى مجرد صراع اقتصادي سياسي حول امتلاك المعرفة، ولهذا إن حضور الدولة في تنظيم تلك المعارف بانتهاج أربع تكتيكات وهي: **الإنتقاء،ا لضبط، الترتيب، التمركز** إنها الإجراءات الأربعة التي يمكن أن تقرأها في دراسة لما يسمى بالسلطة **الإنضباطية** (فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، 2003، صفحة 186)، فيقول "فوكو" في هذا "**بناءا على هذا صنفت المعارف إنطلاقا من آليات سلطوية الى معارف صحيحة، أو علمية ومعارف خاطئة أو لامعارف**"

بهذا لا يمكن أبداً ان نفكر في الخطاب بمعزل عن السلطة، لأنهُ لولا وجود التاني لما أمْكنَ للأوَّل أنْ يوجد. وهذا لا يعني المساواة بين المُرَكبين أو الجاهزيتين؛ وإنَّما المقصود ههنا هو أنه لا يمكن لأي خطاب أيّاً كانت صيغَتُهُ أو منطوقاتهُ أنْ يلقى القابلية أو الرفض إلا أن أَنْتجَ سلطة ما، فالطب النفسي و التحليل النفسي و علم الإجرام تجسيد بشكل مباشر و صريح لهذه العلاقة لذلك من غير الممكن ممارسة السلطة في غياب المعرفة وأنه من غير الممكن أيضا ظهور معرفة لا تنبثق منها سلطة (بغورة ا.، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، 2000، صفحة 250)

8. خاتمة:

ومن جملة النتائج التي توصلنا لها ضمن هذا البحث هي أنّ التحليل الأركيو-جينيالوجي الذي قام به فوكو في مُساءلته للمعرفة واعتنائه بالممارسات السّلطويّة كما هي على أرض الواقع بمختلف تمثلاتها وآثارها على "الذَّوات" لإزالة الوهم التاريخي الذي تحججت معه السّلطة في واقعيتها، وإذابة الجليد الذي غطى الممارسات السّلطويّة على مدى القرون، متجها بذلك إلى

الحضور الفعلي للمركب المعرفي في المنطوق السّلطوي؛ بل حتى أنّه يستثمر المعول الأركيولوجي والجينيالوجي (كما هو الحال في المؤسسات: المستشفى والسجن...) ليوضح أنّ السّلطوي يجعل من النسيج الاجتماعي برمته سجنا يُطوق "الذَّات" من مختلف الجوانب النفسيّة والجسديّة أو الحيويّة، فهذه الأداوات تسمح للفلسفة بأن تلتقي بالتّاريخ؛ من خلال تجاوز منطلقاتها الميتافزيقية، ولعلّ أهمية البحث الأركيو-جينيالوجي كتقويض لكلّ المسلمات الثابتة. تظهر في وصفه للواقع الإنساني كواقع يتشكل من الصراعات والمصالح، ومن ثمة الهيمنة، والرّغبة في التّملك؛ وطبيعة هذا البحث هو التأريخ للسّلطة وآلياتها وتأريخ للحقيقة_ يهدف إلى بيان أنَّ الأحداث التّاريخيّة تجد تفسيرها الحقيقي في تحديد طبيعة الحقيقة التي تشكل "مادة التاريخ". لذلك فالإنسان هو الذي يشتغل، يتكلم، يحيا، ويرغب؛ وبهذا الشّكل يُشكل تاريخه الخاصّ، ويجد نفسه محاطا بنوع من الحقيقة التى توافق ما يحدثُ. وهذا التوافق يتجسدُ في الممارسة التى تخصُ تاريخهُ والتي تعطيه قواما متميزاً.

قائمة المراجع

1. البنطيجي ,ع ,2017) .اغسطس .(22العودة الى النفس و المسألة السياسية عند ميشيل فوكو.
2. الزواوي ,ب .(2008) .*ميشل فوكو و فلسفة السلطة* .بيروت :دار الطليعة.
3. السيد ,و .(1994) .*الحقيقة و التاريخ عند ميشيل فوكو* .بيروت :دار المنتخب .
4. الطريبق ,ا ,2010) .يوليو .(18السلطة وانتاج السلطة .
5. العلوي ,س .ب .(2008) .التأسيس الاجتماعي و التكوين السياسي) .*العدد .(23* مسقط :مجلة التسامح.
6. العيادي ,ع .ا .(1994) .*المعرفة و السلطة*) .ا .الاولى (.Éd ,بيروت :المؤسسه الجامعية للدراسات و النشر.
7. بغورة ,ا .(2000) .*مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو* .الكويت :المجلس الاعلى للثقافة .
8. بغورة ,ا .(2000) .*مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو* .الكويت :المجلس الاعلى للثقافة .
9. بوجليدة ,ع .ب ,2017) .افريل .(15فوكو ورفض الانغلاق في العقل اكتمالا أو بين مراقبة الجسد وتدبر الحياة.21 .p .
10. جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي. *(الجزء الاول)*، 670. بيروت، لبنان: دار اللبناني.
11. جيلالي ,م .ا ,2016) .يونيو .(22ميشيل فوكو وسؤال السلطة من الاختزال الى التشظي نحو فينومينولوجيا تأويلية للسلطة .الرباط ,المغرب :مؤمنون بلا حدود.
12. حيدوري ,ع .ا .(2017) .*فوكو ونطولوجيا الحاضر من الانشغال الانتروبولوجي الى الاضطلاع الاتيقي الساسي* .المغرب :مؤمنون بلا حدود.

13. عواضة ,حنان على .(2013) .السلطة عند ماكس فيبر) .*العدد ,(206مجلة الاستاذ*.268 ,
14. فوكو ,م) .، .(1999-1989*الكلمات والاشياء*) .م .ا .وآخرون، (.Trad ,بيروت :مركز الانماء القومي.
15. فوكو ,م .(1990) .*ارادة المعرفة*) .م .ا .صالح (.Trad ,بيروت :مركز الانماء العربي.
16. فوكو ,م .(1990) .*المراقبة و العقاب-ولادة السجن*) .-ع .مقلد (.Trad ,بيروت :مركز الانماء العربي.
17. فوكو ,م .(2003) .*يجب الدفاع عن المجتمع*) .ا .بغورة (.Trad ,بيروت :دار الطليعة.
18. فوكو ,م .(2005) .*حفريات المعرفة*) .س .يافوت (.Trad ,الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي.
19. فوكو ,م .(2006) .*تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي*،) .س .بنكراد (.Trad ,الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي.
20. فوكو ,م .(2008) .*جينالوجيا المعرفة* .éd)الطبعة) .(2ع .ا .السطاتي (.Trad ,المغرب :دار كوكتال.
21. فوكو ,م .(s.d) .*الا نهمام بالحقيقة*) .م .ميلاد (.Trad ,سوريا :دار الحوار.
22. كردي ,م .ع .(s.d.) .نظرية المعرفة عند ميشيل فوكو .الاسكندرية :دار المعرفة الجامعية .
23. مجذوب ,ن ,2014) .اغسطس .(31السلطة عند ميشل فوكو .مجلة أنفاس .
24. مصطفى ,ع ,2017) .افريل .(21تاريخ الفيزياء تاريخ العلم و التكنولوجيا .العلوم.
25. معزوز ,ع .ا .(2008) .فوكو و ميكروفيزياء السلطة.
26. والى خميس حزام. (2003). إشكالية الشرعية في الانظمة السياسية العربية. *(الطبعة الاولى)*. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
27. . toni Negri 12) .Octobre , 2004 .(Foucault entre le passé at l'aviner.(26) .